

سفر المكابيين الثالث

Holy_bible_1

سفر المكابيين الثالث هو سفر غير قانوني ولكنه سفر هام جدا تاريخيا وساوضح او اهميته التاريخيه ثم اوضح لماذا هو سفر غير قانوني

تاريخيا

السفر يتكلم عن فترة تسبق المكابيين تقريبا بخمسين سنة لهذا تسميته باسم المكابيين الثالث تسمية غير دقيقة والبعض اعتبره كمقدمه لسفري المكابيين ولكن لا يوجد ترابط بينه وبين سفري المكابيين وهو غالبا اخذ الاسم من وضعه في السبعينية بعد مكابيين اول وثاني فقط

البعض سماه بطالسيات وليس مكابيات

هو يعرض مراحل الصراع بين اليهود المتدينين وبين بطليموس فلوباتير (بطليموس الرابع من 221 الي 204 ق م)

ويقسم السفر الي ثلاث قصص

(1) محاولة دخول الملك للقدس في اورشليم بعد انتصاره على أنطيوخس الثالث في معركة رافيا Raphia التي حدثت سنة 217 ق م ولكن الشعب ثار وصى سمعان الكاهن صلاة بليغة سقط بعدها فيلوباتير مغشياً عليه، وعندما بدأ يفيق تدريجياً انسحب إلى الإسكندرية وهو يتوعد اليهود بالانتقام (1: 1-2: 24).

(2) محاولة انطونيوس فيلوباتير الانتقام من يهود الإسكندرية بحرمانهم من الجنسية السكندرية، فقد طلب من الجميع تقديم الذبائح في المعابد الملكية، بحيث أن كل من رفض ذلك، يقيد اسمه

ويدمغ بعلامة "ورقة اللبلاب" رمز الإله ديونيسوس، وقد رضخ بعض اليهود بينما لجأ آخرون إلى الرشوة ليفلتوا من ذلك العقاب، وقد حرم اليهود أولئك الذين ارتدوا من شعبهم (2: 25-33).

(3) الملك يستحضر بعنف أولئك الذين كانوا يقيمون في الأقاليم الداخلية في مصر إلى ميدان سباق الخيل بالإسكندرية، حيث قيدت أسماؤهم ليعدموا، ولكن التنفيذ توقف بسبب نقص ورق البردي والأقلام! حيث ظل التعداد مستمر لمدة أربعين يوماً ولم يكتمل مع ذلك، ثم أمر الملك بأن يداس أولئك اليهود بأقدام خمس مئة فيل ثملة!، غير أن ذلك تأخر أيضاً لمدة يومين بسبب تأخر الملك في النوم!، ثم تأخر مرة ثانية بسبب نسيانه للأمر كلية، وكانت هذه الأحداث داخلة ضمن احتفالات صاحبة يقيمها الملك، فلما حان وقت التنفيذ الفعلي لقتل اليهود، صلى هؤلاء إلى الله بقيادة كاهن عجوز يدعى أليغازار، فنزل ملاكان من السماء أفزعا الفيلة فتحولت إلى جنود الملك وقتلت عدداً منهم، مما جعل الملك يندم ويتوب إلى الله ويطلق سراح اليهود (1)، وأقام لهم الولايم لمدة أسبوع، وبعد ذلك صرفهم ومعهم مرسوم صادر منه يفيد ولائهم للملك، بل أنه أعطاهم تصريحاً بقتل اخوتهم الذين ضعفوا وارتدوا!، وفي طريق عودتهم إلى بلادهم أقاموا أسبوعاً ثانياً من الاحتفالات وذلك عند وصولهم إلى "طولومايس" على بعد اثني عشر ميلاً جنوب غرب القاهرة، ثم أكملوا رحلة العودة بسلام، وبعد كل احتفال يقيمونه في أحد البلاد كانوا يقررون تخليد الذكرى بجعلها احتفالاً سنوياً. (3 مكا 3 - 7).

قانونيته

كما ذكرت ان السفر غير قانوني وهو لم يعترف به كسفر قانوني في اي مرحله من مراحل التاريخ اليهودي والمسيحي

ولم يقتبس منه العهد الجديد ولا اشار اليه في شئ

وايضا السفر لا يتكلم او يشير عن انتظار المسايا ولا يذكر نبوات

السفر كتب في قله من مخطوطات السبعينية فهو جاء في المخطوطة الاسكندرية التي تعود الي القرن الخامس الميلادي واخري تعود للقرن الثامن الميلادي ولكنه لم يوجد في السينائي ولا الفاتيكاني وهما تعودين للقرن الرابع الميلادي . ولكنه لم يوجد في مخطوطات اخري قبل الميلاد

ايضا السفر لا وجود له في مخطوطات قمران . وهو ايضا لانه سفر غير قانوني فلم يوجد في نسخة الفلجاتا اللاتيني للقديس جيروم . ويوجد فقط في بعض نسخ البشيتا السرياني (يوجد بها بعض الاضافات فهو اطول من النص اليوناني) .

لانجد اي اشاره اليه في التقليد اليهودي عن الاسفار القانونية او التاريخيه بل نجد اشاره ليوسيفوس المؤرخ اليهودي بما هو ضد سفر المكابيين الثالث

فيذكر يوسيفوس عن هذه الواقعة في

Apion 2:53-55

أن بطليموس السابع فيسكون (117 – 5 ق.م) أمر بإحضار جميع يهود الإسكندرية رجالاً ونساءً وأطفال مقيدين عراة إلى مكان محاط بسور، ثم أطلق عليهم الفيلة، غير أنها أنقلمت على رجاله وقتلت عدداً منهم. وقد فعل الملك ذلك ظناً منه أن اليهود قد ناصروا غريمته "كليوباترا" عليه، وهو سبب غير الذي ذكره السفر، ولكن كاتب السفر خلط بين التقليد والتاريخ لاسيما وأن الناس لم يميزوا أي من البطالمة كان قد حدث ذلك معه، وتشبه هذه الواقعة ما فعله هيردوس الكبير باليهود . ولكن السفر يذكر انه أمر بإطلاق 500 فيل مخمور على اليهود الذين جئ بهم مقيدين إلى ميدان السباق في الاسكندرية بسبب ما حدث في اورشليم.

اما الكتابات اليهوديه التاريخيه لم تشر لهذا السفر ولا الادبية ايضا

ايضا سفر المكابيين الثالث لم يوجد في اي قائمة من القوائم القانونية حتي التي ذكرت مكابيين اول وثاني فقط

ايضا لم يعترف اي مجمع علي مدار التاريخ بقانونيته بما فيهم مجمع ترنت

وايضا اخوتي البروتستنت لم يضعوه حتي في قائمة الاسفار الابوكريفية

وفي اقوال الاباء لم اجد له اي اقتباس في مجموعة اباء ما قبل مجمع نيقية

ايضا كتليل داخلي

محتوي السفر كما ذكرت به بعض المعلومات التاريخيه الغير دقيقه وايضا يتسم ببعض المبالغات الادبيه

ففي الكتاب الكثير من الأمور غير المحتمل حدوثها. ومن الواضح أننا أمام خليط من انطباعات غير دقيقه مع بعض المعلومات التاريخيه صيغت في أسلوب ركيك لإثبات بعض الأفكار التي أراد الكاتب أن يبلغ بها. ومع ذلك فإن وراء ما في الكتاب من خيال، توجد بعض الحقائق:

- (1)- إن ما جاء فيه عن بطليموس الرابع من أنه كان يتصف بالقسوة والتقلب والتخنث يؤيده ما جاء في تاريخ " بوليبيوس " (204-121ق.م.) ،وفي بعض كتابات " بلوتارك " .
- (2)- إن الخبر الموجز عن الحرب بين بطليموس الرابع وأنطيوكس الثالث، وهزيمة أنطيوكس في رفح، يتفق بشكل عام مع ما كتبه بوليبيوس ويوستينوس.

سنقيلوس، المؤرخ البيزنطي، في كلامه حول رسالة أرسطيس، حوالي سنة 800 ب.م. ولكن، وإن رُبط 3 مك ببطليموس، فهو يقدم القليل حول معرفتنا لأحداث تمت حوالي سنة 217 ق.م. لحكم بطليموس الرابع فيلوباتور. فالصورة الموجزة التي قدمها الكاتب عن انتصار فيلوباتور في رافيا، في تلك السنة (1: 1-7)، تختلف فقط في التفاصيل عما في بوليبيوس، في الفصل الخامس من تاريخه. ففي بوليبيوس مثلاً، وصل الجيشان المتواجهان، إلى رافيا، في الوقت عينه تقريباً. وانضمت أرسينوي إلى فيلوباتور، فحضت الجيش على الاستبسال، قبل المعركة. وذكر تيودوتس وموامرته على بطليموس، ولكنه لم يقل شيء عن دوسيتاوس في 3 مك 1: 3. وإذا جعلنا هذه الآيات جانباً، وفيها ما فيها من معلومات تاريخية حول أحداث مختلفة، نقلنا 3 مك إلى أرض غير ثابتة. لا سبب أولياً يمنع فيلوباتور من زيارة أورشليم بعد انتصاره في رافيا (في جنوبي فلسطين) التي لا تبعد كثيراً عن المدينة المقدسة. ومع ذلك، فخير لقاء الملك مع اليهود في هيكل أورشليم،

قد قيل بشكل خياليّ بحيث يُبعد كل ظنّ بأننا أمام حدث واقعيّ. وخبر الفيلة يعود إلى أسطورة شعبية انتشرت في القرنين الأخيرين ق.م. وخبر إخراج اليهود القاسي من بيوتهم إلى حلبة السباق في الإسكندرية، هو من التضخيم بحيث نحسّ فيه طعم الخبر الخياليّ المرتبط بالأسطورة أكثر منه بالحقيقة.

كاتب السفر

من المرجح أن يكون الكاتب يهودى سكندرى ينتمى إلى فرقة الحسيديين، كتب كتابه فى مصر والتي عاش فيها واطلع على الأحداث التي دونها بعد ذلك في كتابه، وقد كتب كتابه ليدافع عن الشريعة، وذلك على أساس الخبرة التاريخية وليس الجدل الفلسفى، وكان غرضه هو تثبيت بنى جنسه في الإيمان وتشجيعهم على مواصلة الحياة الليتورجية، كما أن الكتاب هو تحذير لكل من يفكر في اضطهادهم، لأنهم شعب فريد، ولا يمكن التعدى على مقدساتهم دون عقاب (1:8-24:2) ولا يمكن الإساءة إلى عقيدتهم حتى بالإكراه والحبس (3 مكا 2: 25-7:23).

والكاتب يؤمن بالمعجزات على غرار ما حدث في سفر دانيال (3 مكا 6: 6، 7) وكذلك الملانكة ذات المظهر المرعب للأعداء (3 مكا 6: 18) والذين رأهم المصريون، ويؤكد أن اليهود مواطنون مخلصون لمصر، بل أنهم يشتركون في الحاميات العسكرية لحصونها منذ زمن بعيد (3 مكا 3: 21-6: 25، 7: 7) ورغم سكنهم في أرض أعدائهم، إلا أن عناية الله الخاصة كانت تحميهم (6: 15) لأنه المخلص الأبدى لإسرائيل (3 مكا 7: 16) وهو يغفر لهم خطاياهم.

كما تأثر الكاتب بسفر المكابيين الثانى وكذلك سفر استير وسفر دانيال (فى نصهما الكامل) حيث يتضح ذلك من وصفه للفتية الثلاثة (3 مكا 6: 6) كما يظهر تأثيره أيضاً من خلال الأنشودة الواردة في (الأصحاحين 26 و27) وكذلك برسالة " أرسطياس " من خلال أوجه الشبه في بعض المصطلحات اللغوية، وكذلك طريقة المراسلات في نفس الفترة (حيث لم يستخدم البطالمة تعبير فيلوباتير " 3 مكا 3: 12 و7: 1 " قبل سنة 100 ق.م.) كل ذلك يوحى بأن السفر كتب في القرن الأول قبل الميلاد، وبما أنه ليس من دليل على وجود اضطهاد أثناء كتابة السفر سواء ما يسمى بعبادة الإمبراطور أو وضع صورته في المجامع فإنه لا يمكن أن يكون قد كتب في أيام حكم الإمبراطور "كايجولا" (38/39م) حيث الاضطهاد الذي وصفه فيلو السكندرى.

سفر المكابيين وسفرى دانيال واستير: يجمع سفر المكابيين الثالث عنصر الاضطهاد الدينى التي تتميز به سفر دانيال من جهة، وعنصر الاضطهاد العرقى الخالص الموجود في سفر استير من جهة أخرى، حيث تذكرنا مؤامرة ثيودوطس (3 مكا 1: 3) بمؤامرة حارسا الباب في سفر استير (2: 21-23) وكمل ينقذ دوسيثيوس حياة الملك (3 مكا 1: 3) ينقذ مردخاى أيضا الملك (استير 6: 2) وقد أتهم اليهود خلال أحداث السفرين بتهم متشابهة من ناحية عدم الولاء (3 مكا 3: 19 وأستير 3: 8) وفي الحاليتين ارتدت المكيدة الفاشلة على من دبروها، وانتهت بتأسيس احتفال تذكارى، وفي كلا السفرين نجد أن اليهود قد حصلوا على تصريح بالفشل غير أنه وبينما قتل اليهود – في سفر استير – أعدائهم من الوثنيين، نجدهم في سفر المكابيين الثالث يقتلون اخوتهم الذين ارتدوا (3 مكا 7: 10 – 15).

مقارنة سفر المكابيين الثالث بسفر المكابيين الثانى: نجد في السفرين محاولة لفرض جنسية غريبة على اليهود الذين انخرطوا في الحضارة الهيلينية (3 مكا 27: 30 و2 مكا 4: 9 و6: 1-9) وفي كلا السفرين أيضاً نجد احتفالات تحيي ذكرى الخلاص بالمعجزات، فمحاولة فيلوباتور الفاشلة لاقتحام الهيكل فى اورشليم (3 مكا 1: 59-24: 2) تذكرنا بالواقعة المماثلة التي قام بها هليودورس (2 مكا 3) كما أن الروى التي أفزعت المصريين وأفيالهم (3 مكا 6: 18 – 21) يقابلها رؤية هليودورس للملائكة المهاجمة (2 مكا 3: 25) هذا وتبرز في السفرين الصلوات من أجل حماية الهيكل (2 مكا 3: 15 – 23، 14: 34 – 36) و3 مكا 2: 1-20).

إذن فإنه يمكن تحديد تاريخ الكتابة بالقرن الأخير قبل الميلاد (قبل أو بعد الحكم الرومانى سنة 30 ق. م. بقليل). والبعض حدده تقريبا من 25 الي 24 ق م واعرض وجهتي النظر

أولاً: الوجهة التاريخية

تشير قراءة النصّ إلى حدود دُونَ فيها 3 مك. من جهة، هو يبدأ في وصف سريع لمعركة رافيا (رفح الحالية) التي حصلت سنة 217 ق.م. ومن جهة أخرى، وبالنظر إلى تعظيم هيكل اورشليم في هذا السفر، ما زال الهيكل قائماً، وهو الذي سيسقط سنة 70 ب.م. ما عدا ذلك، لا إشارة تاريخية أكيدة بين هذين التاريخين (217 ق.م.-70 ب.م.). إن يوسيفوس قدّم خبراً مماثلاً لحدث الفيلة،

ولكن أكثر إيجازاً. ولكنه اختلف عن 3 مك، فنسب الظلم والقساوة إلى بطليموس 9 فسكون (146-117 ق.م.)، لا إلى بطليموس الرابع فيلوباتور. ولكن يبدو أن نصّ يوسيفوس جاء صحيحاً في هذه النقطة. وما يؤكّد لنا ذلك وجود برديّة تدلّ على أن فسكون كان راضياً عن اليهود.

هذا لا يعني أن 3 مك كُتب خلال عهد فسكون أو بعده، أو نقل حدث الفيلة إلى زمن فيلوباتور ليتوافق مع هدفه الدفاعي. بما أن يوسيفوس و3 مك يربطان خبر الفيلة بتنظيم عيد خاص، فهذا يعني أنه قد يعود إلى حدث تاريخي. إن نسخة يوسيفوس الموجزة، ونسخة 3 مك المضخّمة، تعودان إلى رواية شعبية تعود أصولها إلى القرن الأوّل ق.م. وترتبط بشيء معروف وهو أن ملوك مصر استعملوا الفيلة في حملاتهم العسكريّة. من أجل هذا، لا يمكن أن يكون الكلام عن الفيلة معياراً يساعدنا على معرفة الزمن الذي فيه كُتب 3 مك.

لا شكّ في أن 3 مك هو كتاب ظرفي، أي وثيقة جُعلت في ظرف تاريخيّ محدّد، وتوخّت، شأنها شأن الكتب الجليانيّة، مساعدة الشعب لمجابهة الأزمات وتجاوزها. فإن 3 مك قد دُوّن لمجابهة أزمة عرفها الشعب اليهودي. واعتبر إwald أن الأزمة التي نجد صورة عنها في 3 مك، هي اضطهاد ليهود الإسكندرية خلال حكم الإمبراطور الروماني، كاليغولا (37-41). فارتبط الكتاب بمحاولة هذا الإمبراطور أن يجعل صورته في الهيكل سنة 40 ب.م. ولكن إن دُوّن 3 مك في عهد كاليغولا، وربط انتقاد إدارة كاليغولا بأزمة حدثت في الماضي مع فيلوباتور المصري، وجب أن نجد تلميحاً إلى محاولة تأليه الإمبراطور ونزع صفة القدسيّة عن المعابد. ولكن لا تلميح إلى ذلك في 3 مك.

أما هاداس فيبين أن 3 مك دُوّن كردّ على أزمة أصابت يهود مصر ساعة صارت مصر مقاطعة رومانيّة، سنة 24 ق.م، وألغت الإدارة الرومانيّة الجديدة الأحوال المدنيّة الخاصة باليهود. أساس هذا البرهان من الناحية التاريخيّة، هو أن 3 مك 2: 28 يعود إلى إحصاء يرتبط بضريبة (2: 30) في الحقبة الرومانيّة، ويتوافق مع الوضع الإداري بعد أن سيطر الرومان على مصر. هذا من جهة. ومن جهة ثانية، قيل أن فيلوباتور نفسه كان مسؤولاً عن هذا التنظيم الضرائبيّ في مصر، مع أن أوستركات حقبة البطالسة تشير إلى أنه لم تكن ضرائب معمّمة في حقبة البطالسة الأولى، على ما كان في الحقبة الرومانيّة. ومع ذلك، فقد حصل ذلك بسبب المصاريف التي تكبّتها المملكة بعد حربين قاسيتين. لهذا شدّد فيلوباتور على الضرائب.

ولكن كل نظريّة تحاول أن تحدّد متى كُتب 3 مك، فهي تحاول أن تربطه بمحاكمة اليهود ومضايقتهم. غير أن الكتاب نفسه لا يبدو بشكل "وثيقة في أزمة". فبين مواضيع الكتابات

الجليلانية، هناك المجازاة، والحياة بعد الموت، والدينونة الأخيرة. وانقلاب نظام العالم الموجود يتم بأمر الله في نهاية الزمن. مثل هذه المواضيع غائبة من 3 مك. في الواقع، الشكر البهيج لله على رحمته وخلصه لشعبه، وعيد الفرح، يظهران بوضوح في هذا السفر. كل هذا يدل على أن الكتاب دُونَ في حقبة من النجاح والازدهار لليهود. وهكذا نكون أمام نصّ يبني الجماعة ويدافع عنها، وقد توخّى أن يحافظ على الإيمان القويم، وأن يبيّن ولاء اليهود كشعب خاضع للسلطة في الأرض التي يقيمون فيها، وأن يقدم خبراً يسند ممارسة عيد يهودي يحتفلون به في مصر.

ثانياً: الوجهة الأدبية

من تقوية الإيمان، إلى تبرير تاريخي لعيد يحتفل به اليهود، إلى الدفاع عن موقف اليهود العائشين في محيط وثنيّ، كل هذا يساعدنا على تحديد زمن تدوين 3 مك. فهل تحمل هذه السمات الأدبية وعلاقات هذا السفر بأسفار أخرى، ما يلقي الضوء على حقبة تمتدّ بين سنة 217 ق.م وسنة 70 ب.م؟ إن 3: 3 يكشف ارتباط الكتاب بإضافات جعلت في سفر دانيال. وبما أن سفر دانيال دُونَ حوالي سنة 165 ق.م، فهذا ما يقودنا إلى القسم الأوّل من القرن الأوّل ق.م كزمن لكتابة 3 مك. وفي 3 مك 3: 12؛ 7: 1، ترد تحية تشبه ما في رسالة أرسطيس التي يعتبر الشراح أنها دُوّنت حوالي سنة 100 ق.م، هي: "السلام والعافية". وبما أن البرديات في القرن 2-1 ق.م تدلّ على مثل هذه العبارة وغيرها، تكون 3 مك عائدة إلى بداية القرن الأوّل ق.م، شأنها شأن رسالة أرسطيس.

وإذا ربطنا 3 مك مع 2 مك ورسالة أرسطيس، فهذا ما يعود بنا إلى ما قبل القرن الأوّل ق.م بالنسبة إلى كتابنا. فهناك تشابهات لافتة، ولا سيّما على مستوى المعجزة في حياة بطليموس في 3 مك 2: 21-24، وفي حياة هليودورس في 2 مك 3: 12-31. إن التشابه بين 2 مك و3 مك يقودنا إلى كاتب واحد. ولكننا بالأحرى نقول إننا أمام كاتبين عاشا في محيط واحد وكتبا في زمن واحد. وهكذا بدا التوافق بأن 2 مك يعود إلى القسم الأوّل من القرن الأوّل ق.م.

وأين دُونَ 3 مك؟ كانت المؤامرة في جوار الإسكندرية. وأول أهداف الكاتب الكلام عن وضع اليهود في مصر. إذن، عمل الكاتب يدخل في جوّ "كلاسيكي مصطنع"، شأنه شأن صاحب 2 مك ورسالة أرسطيس. كما يدلّ على معرفة بحياة القصر في زمن البطالسة، واطلاع على لغة نقرأها في قرارات البطالسة الرسمية. وهكذا نستطيع القول إن 3 مك دُونَ في الإسكندرية في آخر القرن الاول الميلادي

لغة السفر

يكاد العلماء يجمعون على أن المكابيين الثالث كتب أصلاً باليونانية. ويؤيد ذلك صورته في الترجمة السبعينية. كل شيء يشير أن 3 مك دُونَ في اليونانية. ويمكن أن نجعل الكتاب في فنّ أدبيّ، هو "الرواية التاريخية". وبهذا، نراه يشبه بعض الشبه "روايات" ازدهرت في الحقبة الهلنستية، أي بعد الاسكندر المقدوني. لم يبقَ الكثير من هذه الروايات، التي نذكر منها ما تركه خاريتون (نهاية القرن الأول) ابن لابساكي (آسية الصغرى، أو تركيا الحالية، تجاه الدردنيل): مغامرات خايريّاس وكاليرهوي (في ثمانية أجزاء). ونحن نجد في 3 مك بعض السمات التي تجعل هذا الكاتب عارفاً بعض الشيء بمثل هذا النموذج الأدبيّ. ينطلق الكاتب من حدث (أو شخص تاريخي) فيتوسّع فيه ويجملّه، فيصبح "أسطورة". فالأسلوب واللغة اللذان استعملهما الكاتب، دلاً على يد يونانية. فسمح لنفسه مراراً بأن يقدم كتابة رقيقة، فضمّ الموصوف إلى الموصوف، والجملة الاسمية إلى الجملة الاسمية. وتوافرت التكرارات البلاغية والتضخيمات. وجاءت الألفاظ غنيّة ومتنوّعة، فتضمّنت الكلاسيكيّ كما تأثرت باللغة الدارجة. واستعمل الكاتب كلمات نجدها عند الشعراء اليونان. كما اخترع ألفاظاً لا نجدها عند سواه، وقد يكون صاغها بنفسه. كل هذا يدلّ على كاتب قلّد الأدب الكلاسيكيّ أو الإتيكيّ، فبدا مرتاحاً مع مختلف حقبات التطور اللغويّ في الثقافة اليونانية.

نشر هذا السفر بنصه اليوناني للمرة الأولى سنة 1899 بواسطة سويت في كامبريدج ومره ثانية في ألمانيا سنة 1935 ثم ترجم بعدها إلى الألمانية والإنجليزية

اهميته التاريخية

لا نمتلك الشيء الكثير عن الظروف التاريخية لليهود في مصر خلال حقبة البطالسة، ويمكن أن يكون 3 مك ذات قيمة تاريخية في المعنى الواسع للكلمة. ومع ذلك، فالكاتب ليس مؤرخاً اهتمام أول ما اهتمام بذكر ما حصل من أحداث، بدقة، ولا اهتمام بالحفاظ على ما تذكره الناس في الماضي، من أجل ذاته. بل هو مؤمن متدين قد استعمل وسيلة الإخبار التاريخي، وجعله في "رواية"، ليبنى ويشجّع الإيمان داخل شعبه من جهة، ومن جهة ثانية

ليوصي بهم "إلى الخارج" (أي العالم الوثني) أنهم "شعب خاص". وهكذا يدافع عن طريقة حياتهم ويبررها، كما يبرر إحساسهم الديني وممارستهم التي ما زالوا يحافظون عليها منذ عهد سحيق.

نص المكابين الثالث

انتصار بطليموس الرابع

1 (1) حين علم فيلوباتور من الذين رجعوا، أن أنطيوخس استولى على المواقع التي كانت له، أعطى أوامره إلى جميع المشاة والخيالة من جيشه، وأخذ معه أخته ارسنوي، وزحف إلى مناطق رافيا حيث خيم أنطيوخس وجيشه. (2) غير أن المدعو تيودوتس عزم على أن ينقذ مقصده، فأخذ معه أشجع رجال الجيش الذين جعلهم بطليموس بإمرته، ومضى ليلاً إلى خيمة بطليموس بعد أن نوى على قتله بيده، بحيث يضع حداً للحرب. (3) ولكن المدعو دوسيتاوس، ابن دريميلوس، الذي كان يهودي المولد ثم تنكّر للشرعية وتخلّى عن معتقدات آبائه، دعا بطليموس إلى الخارج وجعل مكانه شخصاً مغموراً في خيمته، فكان له المصير المعدّ لبطليموس. (4) وتبع ذلك معركة شرسة. وإذ سيطر رجال أنطيوخس على الوضع، مرت ارسينوي في الصفوف، بشعرها المبعثر، وتوسّلت باكية، وطلبت من الجنود أن يستعيدوا قواهم ويحاربوا، لا من أجل نفوسهم وحسب، بل من أجل نساتهم وأولادهم. ووعدت بأن تعطي كل واحد منهم، وزنتين من ذهب، إن انتصروا. (5) وكانت النتيجة أن العدو دمر في المعركة. ووقع في الأسر عددٌ كبير منهم.

بطليموس في أورشليم

(6) بعد أن سيطر بطليموس على هذه المحاولة، عزم على زيارة المدن المجاورة لكي يشجّعها. (7) وحين فعل هذا ووزّع عطاياها على هياكلها (= تلك المدن)، جعل عبده يطمنون. (8) عندئذ أرسل اليهود وفداً من شيوخهم إليه. فحيّوه وقدموا له تقدمات الصداقة وهنّأوه على ما فعل. فبدا معجلاً لأن يزورهم في أقرب وقت ممكن. (9) فجاء إلى أورشليم، وذبح للاله العظيم، وقدم تقادم شكر، وحافظ إلى حدّ ما على قداسة المكان. وحين دخل إلى المكان المقدّس صعقه ظهور نقي إلهي، فسأل نفسه (10) وهو مندهش من ترتيب الهيكل هل يدخل إلى المقدس نفسه أم لا. (11)

فقالوا له: هذا أمر لا يليق. فلا يُسمح لليهود أنفسهم ولا للكهنة، بل فقط لعظيم الكهنة ورئيس الجميع، ومرّة واحدة في السنة. غير أنه لم يقتنع إطلاقاً. (12) وحتى بعد أن ثلّيت عليه الشريعة، ظلّ يؤكد أنه سيدخل. قال: "إن هم حُرّموا من هذه الكرامة، فأنا لا". (13) ثم سأل: "حين دخلتُ إلى سائر الهياكل، فما من كاهن حضرَ ومنعني". (14) فقيل له حالاً إنه من الخطأ الكلام عن هذا الأمر وكأنه موضوع فخر. (15) فقال: "وإن كان الأمر كذلك، لماذا لا أدخل، والوضع وضعي، سواء رضيتُم أم لا"؟ (16) عندئذ ارتمى الكهنة على الأرض بلباسهم، وتوسّلوا إلى الله العظيم أن يساعدهم في صعوبتهم الحاضرة ويجعل المهاجم يبدّل رأيه. وملأوا الهيكل بناوحهم ودموعهم. هجمة الشعب

(17) فأسرع الشعب الذي لبث في المدينة (المقدسة)، وأسرع وهو مضطرب، منتظراً أن يحدث أمرٌ سرّي. (18) والصبايا أنفسهن اللواتي حُجزن في مخادعهنّ، خرجن مع أمهاتهن، وأخذن الرماد وذربينه على شعرهنّ، وملأن الشوارع بصراخهنّ ونواحهنّ. (19) واللواتي تزوّجن حديثاً، تركن مخادعهن المهيأة لهنّ، وأسرعن قلقات إلى المدينة، بعد أن نسين الحشمة التي تليق بوضعنّ. (20) والامهات والمرضعات تركن الأطفال هنا وهناك، في البيوت أو في الشوارع، وما اهتممن بهم، بل سارعن بحرارة إلى الهيكل المجيد جداً. (21) وتكاثرت وتنوّعت صلوات أولئك الذين اجتمعوا هناك، بسبب محاولة الملك بأن ينتهك الأقداس.

(22) في ذلك الوقت، تشجّع بعضُ أهل المدينة، فرفضوا أن ينصاعوا لعناده ونيّته بأن ينقذ هدفه. (23) فدعوا إلى حمل السلاح والموت بشجاعة دفاعاً عن شريعة آبائهم. فسبّبوا جلبه في المكان. فأقتعهم الشيوخ بصعوبة، فعادوا إلى وقفة الصلاة مع الآخرين. (24) في ذلك الوقت، ظلّ الجمهور يصلّي كما من قبل. (25) ولكن الشيوخ الذين أحاطوا بالملك، حاولوا بشتى الوسائل أن يُثنوه عن عزمه في ما نواه من نيّة متعاطمة. (26) أما هو، فلبث على موقفه الصلب رافضاً أن يقتنع، وتابع طريقه منطلقاً إلى أن يكمل ما نواه من خطّة. (27) فحين رأى الذين حوله ما يحدث، انضمّوا إلى الشعب ودعوه، وهو في كل سلطانه، لكي يساعدهم في هذا الضيق الحاضر، لا أن يصبوا إلى وقاحة عمل ينافي الشريعة. (28) وتواتر صراخ الجماهير المجتمعة وصار قوياً، فنتجت عنه جلبه تفوق الوصف. (29) فما صرخ الناس فقط، بل بدت الجدران والبلاط وكأنها تصرخ، بحيث فضّل كل واحد الموت على تنجيس الهيكل.

صلاة سمعان عظيم الكهنة

2 (1) فحنى سمعان، عظيم الكهنة، ركبتيه أمام المكان المقدس، وبسط يديه خاشعاً، وتلا الصلاة

التالية: (2) "يا ربّ، يا ربّ، يا ملك السماوات وسيّد الخليقة كلها. أيها القدوس بين القدوسين، أيها الملك الضابط الكل. أصغ إلينا نحن الذين يضايقنا رجل شرير وفساد، متعجرف في وقاحته وقدرته. (3) أنت يا خالق كل شيء وسيّد الكون كله، أنت الحاكم العادل الذي يدين جميع الذين يتصرفون بكبرياء ووقاحة. (4) أنت الذي دمرّ البشر بسبب أعمالهم الشريرة في الماضي، ومنهم الجبابرة الذين اعتمدوا على قوتهم الخاصة وثقتهم بأنفسهم، فجلبت عليهم طوفان ماء عظيمًا جدًّا. (5) أنت الذي جعل أهل سدوم الذين أفرطوا في عمل الشرّ واشتهروا برذائلهم، مثلاً للأجيال الآتية، حين أحرقتهم بالنار والكبريت. (6) أنت الذي اختبر قدرة فرعون الذي استعبد شعبك المقدّس اسرائيل، بعقابات عديدة ومختلفة، وعرّفته قدرتك العظيمة. (7) أنت الذي قلبت أعماق البحر عليه، حين كان يلاحق شعبك بالمركبات والجيوش الكثيرة، وجعلت الذين يثقون بك يعبرون بأمان، يا سيّد الخليقة كلها. (8) حين رأوا أعمال يديك باركوك، يا ضابط الكل. (9) أنت يا ملكًا خلقت الأرض التي لا حدود لها ولا قياس، واخترت هذه المدينة، وقدّست هذا الهيكل لأجل اسمك، مع أن لا شيء ينقصك. لقد مجدّته بظهورك البهيّ وأقمته لمجد اسمك العظيم والكريم.

(10) في حبك لبني اسرائيل، وعدتنا أننا إن ابتعدنا عنك ونالنا الضيق، فجننا إلى هذا البيت وصلينا، تسمع صلاتنا. (11) أنت حقًا الأمين الذي نثق به. (12) مرارًا، ساعة كان آباؤنا في الضيق، ساعدتهم في ذلهم ونجيتهم من الأخطار الكبيرة. (13) فانظر الآن، أيها الملك القدوس، كم نحن مضايقون وخاضعون لأعدائنا، بسبب كثرة خطايانا، فصرنا ضعفاء وما عاد لنا من قوّة. (14) وإذ نحن في هذا الوضع المزري، أراد هذا الرجل المتشامخ والفساد أن ينجس المكان المقدس الذي كرّس على الأرض لأجل اسم مجدك. (15) فمكان سكنك، سماء السماوات، لا يقرب منه إنسان. (16) ولكن قدّست هذا المكان المقدس، لأنك ارتضيت أن تُظهر مجدك وسط شعب اسرائيل. (17) لا تعاقبنا لنجاسة هؤلاء الرجال، ولا تؤدّبنا لتدنيسهم. فمن لا شريعة له يفخر بغضبه، ويتعظم في وقاحة لسانه قائلًا: (18) "دسنا بيت المقدس كما دُسنا بيوت الرجاسة". (19) فاغسل خطايانا، وأبعد معاصينا، وأظهر رحمتك في هذا الوقت. (20) لتأت مراحمك إلينا عاجلاً. ولتمدحك أفواه الذين يسقطون فتنسحق نفوسهم. وامنحنا السلام."

عقاب الله

(21) في ذلك الوقت، سمع الاله الذي يرى كل شيء، الذي هو قدوس بين القدوسين، (22) صلاة التضرّع التي تليق به، وجلد ذلك الذي تعظم وتعجرف في وقاحته وسفاهته. فأخذ يروح ويجيء كالقصب في الريح، وسقط على الأرض بدون قوّة، فتجمّدت أعضاؤه فما عاد يقدر على الكلام بعد

أن سيطر عليه الحكم العادل. (23) فلما رأى أصدقاؤه وحرسه الشخصي قساوة العقاب الذي حلّ به فجأة، خافوا عليه من الموت، فنقلوه بسرعة وهم مرتعبون. (24) ولما عاد مع الوقت إلى نفسه، لم تُحدث هذه الضربة القاسية ندامة في داخله، بل مضى وهو يهدّد بمرارة.

(25) فحين وصل إلى مصر، صار أكثر تطرّفًا في شرّه، عبر رفاقه وأصدقائه الذين ذكروا سابقًا والذين كانوا غرباء كل الغربة عن كل ما هو عدل. (26) فما اكتفى بأعمال إجرام لا عدل لها، بل وصلت به سفاهته إلى أن يستنبط تقارير مشتّعة هناك. لاحظ عددًا من أصدقائه هدفه، فدخلوا في خط رغباته. (27) كان همّه أن يلقي العار بشكل علنيّ على الأمة. لهذا، نصب عمودًا في برج القصر، وكتب فيه: (28) "لا يُسمح لمن لا يقدّمون ذبيحة، بالدخول إلى هياكلهم. ويُفرض على جميع اليهود أن يُحصوا مع سائر الشعب. فمن قاوم، يؤخذ بالقوّة ويُقتل. (29) أما الذين يُحصون فيطبّعون بالنار في أجسادهم، بشكل ورق اللبلاب، الذي هو رمز ديونيسوس، ويُفرّزون حسب حقوقهم المحدودة". (30) ولكنه أضاف لكي يتظاهر أنه ليس عدوًّا لهم كلّهم: "ولكن إن انضمّ واحد منهم إلى الذين تدرّجوا في الأسرار، ينال ذات الحقوق التي ينالها مواطنو الاسكندرية".

(31) فالذين عارضوا بقوة الثمن الذي يجب على المدينة أن تدفعه لممارسة ديانتها، عادوا واستسلموا بفرح وانتظروا إكرامًا عظيمًا ينالونه حين يشاركون الملك في عبادته. (32) ولكن القسم الأكبر قاوموا بشجاعة، ورفضوا أن يتخلّوا عن ممارستهم الدينية، فأعطوا مالهم فدية عن حياتهم. وطلبوا النجاة من الإحصاء، بدون خوف. (33) وثبتوا في رجاء يقول لهم سينالون عونًا مقبلًا، واحتقروا الذين تركوا صفوفهم، واعتبروهم بأنهم أعداء الأمة، وطردهم من الجماعة في حياتها وفي علاقاتها.

اليهود في المجتمع

3 (1) حين تلقى الملك الشرير الخبر، غضب جدًّا. وما انحصر غضبه في اليهود الذين في الاسكندرية. بل ثقلت يده على الذين يعيشون في البلاد، فأمر بأن يُجمعوا سريعًا في مكان واحد ويُحرموا الحياة بقساوة كبيرة. (2) وإذ كان هذا ينظّم، سرت شائعة شريرة ضدّ الأمة اليهودية بواسطة رجال تأمروا لكي يُسينوا إليهم. واستفادوا من الظرف فاتهموهم بأنهم يتهرّبون من ممارسة شرائعهم. (3) أما اليهود فحافظوا دومًا على ولائهم للملوك وعلى صدقهم الذي لا يتزعزع. (4) غير أنهم يعبدون الله ويسلكون حسب شريعته. ويحفظون أنفسهم من بعض الأطعمة. لهذا يبغضهم بعض الناس. (5) زينوا حياتهم الجماعية بممارسة صالحة، فرضي عنهم جميع الناس. (6) وما يقول سائر البشر حول الأمة اليهودية، لا يهتمّ له الغرباء. (7) مقابل هذا،

يتحدثون دوماً كيف يختلفون على مستوى العبادة والأطعمة. ويستنتجون أنهم لا يقومون بواجبات تعاهدوا عليها، تجاه الملك أو الجيش، بل يعيشون العداء ولا يتعاطفون مع مصالحهم. بهذه الطريقة، يضيفون البغض عليهم. (8) حين لاحظ اليونانيون في المدينة ضجة غير متوقعة حول هؤلاء الناس الذين لم يسيئوا إليهم، وتحرك لم ير مثله من قبل، ما استطاعوا أن يقدموا عوناً، لأنهم يعيشون تحت حكم مستبد. إلا أنهم شجعوهم وتعاطفوا معهم، وانتظروا أن تتبدل الأمور نحو الأحسن. (9) فجماعة واسعة لم تفعل شراً، لا يمكن أن تُترك لمثل هذا المصير. (10) وإن بعض جيران اليهود وأصدقائهم وشركائهم في العمل، أخذوا بعضاً منهم سراً، فالتزموا بمساعدتهم، ووعدهم بأن يفعلوا لأجلهم ما هو في مقدورهم.

قرار بطليموس

(11) استند الملك إلى حسن طالع الحاضر، وما تطلع إلى قدرة الله العظيم، وظن أنه يستطيع أن يثبت على الدوام في مشروعه، فكتب الرسالة التالية ضد اليهود: (12) "من الملك بطليموس فيلوباتور إلى قواده في مصر وفي سائر الأمكنة، الصحة والسعادة. (13) أنا في صحة جيدة وأموري تسير على ما يرام. (14) وحملتنا إلى آسية، كما تعرفون بأنفسكم، وصلت بنا إلى النصر بعون الآلهة، كما توقعنا. (15) وفكرنا أنه يجب أن نساند سكان سورية الجوفاء وفينيقية، لا بقوة السلاح، بل بالحنان والروح الإنسانية، فنحسن إليهم وهم راضون.

(16) "وإذ منحنا المال الكثير للهيكل في مختلف المدن، وصلنا في عملنا إلى أورشليم، وصعدنا لكي نكرم هيكل هذا الشعب الملعون الذي لم يتخل يوماً عن جهالته. (17) خارجياً، بدوا وكأنهم يستقبلوننا بحفاوة، ولكن استقبالهم كان في الواقع غير صادق. لأننا حين رغبنا في الدخول إلى هيكلهم وتكريمه بتقدمات جميلة ومتألقة، (18) دفعتم كبريائوهم القديمة فمنعونا من الدخول. ولكن بسبب التسامح الذي نمارسه تجاه كل إنسان، امتنعنا عن استعمال قوتنا معهم. (19) غير أنهم أظهروا ملء العداء تجاهنا، فكانوا الشعب الوحيد بين جميع الشعوب الذين رفعوا رؤوسهم على الملوك والمحسنين إليهم، فرفضوا أن يخضعوا لأي حق.

(20) "أما من جهتنا، فتساهلنا مع جنونهم، وعدنا منتصرين إلى مصر، فعاملنا جميع الشعوب بالحنى: تصرفنا بحسب العدل. (21) وهكذا أعلنا الجميع باستعدادنا لأن نغفر لليهود مواطنينا بسبب عهدهم معنا والأمور العديدة التي سلّمت إليهم منذ القدم. فتجرأنا وقررنا أن ندخل تعديلاً في وضعهم، فأعلناهم أهلاً لأن يكونوا من مواطني الإسكندرية، وسمحنا لهم بأن يشاركوا في نظام طقوسنا الدينية. (22) ولكنهم أساؤوا فهمنا، وفي إحساس داخلي من العداوة، رفضوا ما تقدّم لهم

من خير. (23) مالوا كعادتهم إلى كل ما هو حقير وصغير، فلم يرفضوا فقط مواظبة لا تشتمن، بل دلوا، بصمتهم كما بكلامهم، على احتقارهم للذين بينهم كانوا ذا استعدادات طيبة، وغدوا أملاً خفياً بأننا سنبدل سياستنا بسرعة، بسبب تصرفهم الأرعن. (24) وهكذا كان لنا البرهان الساطع بأن هذا الشعب هو في أي حال عدو لنا. ولاحظنا مسبقاً أنهم يخونونا في الظهر (25) ويتحولون إلى أعداء همجيين في حال قامت ثورة علينا.

"لهذا قررنا وأمرنا، ساعة تصل هذه الرسالة إليكم، أن ترسلوا إلينا أولئك الذين يقيمون بينكم، مع نسانهم وأولادهم. تعاملونهم بقساوة، وتقيدونهم بسلاسل من حديد ليُقادوا إلى موت قاس ومذل يستحقه أعداء خونة. (26) ونعتقد أنهم حين يعاقبون معاً، يثبت حكمنا ملء الثبات إلى الأبد في الطمأنينة والعافية. (27) فكل من يخبئ يهودياً سواء كان شيخاً أو ولدًا، بل طفلاً على الشدي، يُرسل إلى الموت بعد عذاب مرّ، هو وأهل بيته. (28) وكل من يشي بهم، يمتلك الشخص الذي وشى به مع ألفي درهم من الخزانة الملكية، ويكرّم بتاج الحرية. (29) وكل موضع خبأ يهودياً يُحرق بالنار، ويُجعل بلا فائدة للناس في الأجيال الآتية".

(31) ذاك كان شكل الرسالة التي كُتبت.

نفي اليهود إلى الإسكندرية

4 (1) في كل موضع وصل إليه القرار، تنظّم عيدٌ علنيٌّ للوثنيين مع احتفال صاخب وفرح: كان البغضُ كامناً في قلوبهم منذ زمن طويل، فجاء وقت الإفصاح عنه. (2) ولكن بين اليهود، كان الحزن والنواح والدموع الغزيرة، واشتعلت قلوبهم وهم يندبون ويولولون بسبب دمار غير متوقع حلّ بهم. (3) وأية منطقة أو مدينة أو حاضرة أو قرية بسكانها، أو أي شارع لم يمتلئ بالندب والنواح بسببهم؟ (4) بمثل هذا الروح، روح الانتقام بلا شفقة، أرسلهم القواد معاً من مختلف المدن، بحيث إن أعداءهم أنفسهم حين رأوا هذا الألم الكبير تحركت فيهم الشفقة تجاه صروف الحياة، فذرفوا الدموع تجاه نفيهم التعيس. (5) أبعد الكثيرون من الشيوخ بشعرهم الأبيض. ومع أن أرجلهم ارتخت والتوت بسبب السنين، دُفعوا دفعاً عنيفاً لسير مُذلّ لا توقف فيه. (6) والصبايا اللواتي دخلن منذ زمن قصير خدر الزواج لينعمن بحياة زوجية، حوّلن الفرح إلى نواح، وجعلن الرماد على رؤوسهن فوق العطور، ومضين بلا حجاب، فانضممن إلى الجميع وأنشدن النواح بدل أناشيد العرس، وكأهن تمزقن تمزيقاً لقساوة الوثنيين. (7) قُيدن وعُرضن أمام عيون الجميع، ثم نُقلن بعنف إلى المراكب. (8) وأزواجهن الذين كانوا في ملء قوة الشباب، حملوا الثقالة على أعناقهم بدل أكاليل الزهر، وقضوا الأيام الباقية من عيد زواجهم، لا في احتفال الفرح ومرح

الشباب، بل في النواح، ورأوا قبورهم تحت أقدامهم. (9) جُعلوا في السفن كالحیوانات بقیود من حديد. بعضهم رُبِطت أعناقهم بمقعد المركب، وآخرون جُعلت أقدامهم في القيود القاسية. (10) وأسوأ من هذا هو أنهم جُعلوا في الظلمة التامة بحيث يعاملون كالخونة خلال السفر. (11) فلما وصلوا إلى الموضع المسمى سخاديا، وانتهى السفر كما حدده الملك، أمرهم بأن يُرموا في حلبة السباق التي في ضاحية المدينة، والتي كانت مؤهلة لتجعل من هؤلاء الأسرى عبدة لجميع الذين يأتون إلى المدينة وجميع الذين يخرجون منها ليقیموا في الريف. وهكذا يراهم الجميع، ولا يستطيعون أن يجتمعوا بقوات الملك ولا أن يطالبوا بأية معاملة إنسانية. (12) ولما تم هذا، سمع الملك أن إختهم في المدينة يخرجون مراراً ويبيكون مصير إختهم المرّ، (13) فأمر بغضب، بأن يعاملوا المعاملة عينها، ولا يُعفوا من العقاب الذي يناله الآخرون. (14) ثم أُحصيت الأمة كلها. لا من أجل العمل كعبيد، كما ذكر سابقاً، بل ليعذبوا بعذابات أمر بها، ويُقتلوا بقساوة خلال يوم من الزمن. (15) هذا الإحصاء الذي تمّ بسرعة مذلة وبغيرة لا رحمة فيها، من شروق الشمس إلى غروبها، انتهى بعد أربعين يوماً، مع أنه لم يكن كاملاً. (16) امتلاً قلبُ الملك فرحاً متواصلًا، وأقام الولائم أمام هيكل أصنامهم، بقلب بعيد عن الحقيقة وبفم نجس، فمجد الأصنام التي لا تقدر أن تتكلم ولا أن تساعد، وقال أقوالاً غير لائقة ضدّ الإله العظيم.

(17) في نهاية الزمن الذي ذكر أعلاه، أخبر الكتبة الملك أنهم ما عادوا يقدرّون أن يواصلوا إحصاء اليهود، لأن عددهم لا يُحصى. (18) ومع أن معظمهم كانوا بعدّ في الريف، وآخرون في بيوتهم أو في سفر، بدأ العمل مستحيلاً لجميع القواد في مصر. (19) وبعد أن هددهم الملك بقساوة، واتهمهم بالرشوة ليجدوا وسيلة بها يُفلت (اليهود)، اقتنع كل الاقتناع (20) حين أعلنوا وبرهنوا له أن الورق نفذ والحبر الذي يستعملونه للكتابة قد جفّ. (21) غير أن هذا كان من عمل العناية الإلهية التي لا تُقهر، والتي أرسلت لليهود عوناً من السماء.

فشل مخطط الملك

5 (1) فدعا الملك حرمون المهتمّ بقبيله، فامتلاً غضباً وغيظاً جعلاه لا يلين. (2) وأمره بأن يسقي كل قبيله، وكان عددها خمس مئة (77)، خمرة صافية لم تُمزج، وكمية من اللبان. وحين تمتلئ وحشية من الشراب، يقودها من أجل تنفيذ حكم الإعدام باليهود. (3) وبعد أن أعطى (الملك) هذه الأوامر، عاد إلى ولانمه، فجمع كل أصدقائه و(قواد) الجيش الذين يعادون اليهود عداً خاصاً. (4) في ذلك الوقت، قام حرمون، مدرّب القبيلة، بما عهد إليه أحسن قيام. (5) ومضى الذين ينقذون أوامره في المساء، وربطوا أيدي الشعب المسكين التعيس، واتخذوا كل الاحتياطات بحيث لا

يصيبهم مكروه في الليل، بحيث تهلك الأمة كلها دفعة واحدة. (6) ظن الوثنيون أن اليهود لا يقدرون على الحراك بعد أن حُصروا حصرًا في القيود. ولكنهم دعوا (7) الرب الضابط الكل والقوي بكل قوة، والههم الرحيم وأباهم. طلبوه كلهم بدموع وصراخ لا ينقطع، (8) لكي يقلب القصد الشرير الذي يحاك عليهم، وينجيهم، بظهور عجيب، من الكارثة المزمعة أن تحل بهم. (9) فبلغت طلبتهم الحارة إلى السماء.

(10) جاء حرمون بفيله الشرسة، ومأها بكمية كبيرة من الخمر، وأتخمها باللبان، وجاء في الصباح الباكر، إلى القصر، ليُعلم الملك بما فعل. (11) ولكن الذي (= الله) أرسل النوم إلى خليقته الصالحة التي تنام قسماً من الوقت، خلال الليل أو خلال النهار، يُفيض بركته كما يشاء. فأرسلها غزيرة على الملك. (12) أرسل إليه سحراً حلواً ونوماً عميقاً، فقاوم قصده الجائر، وخيبه كل الخيبة في مرماه الذي لا يلين.

(13) أما اليهود الذين نجوا من الموت في الساعة المحددة، فأنشدوا الله القدوس. وطلبوا إلى ذاك الذي يُسرّع في رحمته، أن يُريهم عظمة يده القديرة تجاه الوثني المتعجرف. (14) ولكن منتصف الساعة العاشرة حلّ، حين لاحظ الموظف المكلف بالدعوات أن الضيوف اجتمعوا. فمضى إلى الملك وحركه. (15) كان في حيرة: أيوقظه أم لا؟ ولكن حين شعر أن ساعة الوليمة حلت، أخذ الأمور على عاتقه. (16) استمع الملك إليه، ثم مال إلى كؤوسه، وأمر ضيوفه إلى الوليمة بأن يجلسوا قبالتة. (17) ولما تمّ هذا، طلب منهم أن يفرحوا، وأن يقدّروا الشرف العظيم الذي أعطي لهم، وأن يحسبوا هذا القسم الأخير من الوليمة قمةً البهجة. (18) وبعد فترة من الجلوس إلى المائدة، أمر الملك حرمون، وهدده بقساوة، وسأله لماذا سُمح لليهود بأن يظلوا حتى اليوم على قيد الحياة. (19) فشرح حرمون أنه صنع المستحيل خلال الليل، ووافقه أصدقاؤه على ذلك. (20) عندئذ غضب الملك غضباً أبن منه غضب فلاريس وقال: على اليهود أن يشكروه لأنه أنعم عليهم بالنوم في هذا اليوم. وأضاف: ستهياً الفيلة بدون تأخر للغد، كما كانت بالأمس، لإفناء اليهود الملعونين.

(21) وحين قال الملك هذا، وافق الحاضرون، وابتهجوا، ومضى كل واحد إلى بيته. (22) ولكنهم لم يستفيدوا من الليل ليخلدوا إلى النوم، بل ليفكروا بكل أنواع الهزء الذي سيناله الشعب المحكوم عليه. (23) وما إن صاح الديك في وقت الفجر، حتى هيا حرمون حيواناته وحثّها، فصارت صفًا عظيماً من "العواميد". (24) وتوافدت الجموع من المدينة لترى هذا المشهد المريع. وكانت تنتظر بفارغ صبر طلوع الصباح. (25) ولكن اليهود الذين قضوا آخر نفس في التوسل الباكي وفي

النواح، بسطوا أيديهم إلى السماء وطلبوا من الإله القدير، مرّة ثانية، أن يعجّل في مساعدتهم.

(26) ما كانت انتشرت بعد أشعة الشمس، وإذ كان الملك يستقبل أصدقاءه، تقدّم حرمون ودعاه لكي يخرج، وشرح له أن رغباته جاهزة للتنفيذ. (27) استقبله الملك، ولكنه تعجّب من دعوته له إلى الخروج في مثل هذا الوقت، بعد أن سحقه روح جعله ينسى كل شيء. وسأل: ما هو هذا الأمر الذي يجب أن يهيأ بمثل هذه العجلة؟ (28) ولكن هذا كان عمل الله، سيّد كل شيء، الذي زرع في ذهنه نسيان كل ما سبق له وخططه. (29) غير أن حرمون وكل أصدقائه، تابعوا تهيئة الحيوانات. وقالوا: "كل شيء جاهز، أيها الملك، حسب أمرك المشدّد". (30) ومع أنه كان يمتلئ غضباً حين يسمع هذه الكلمات، فبغاية الله تجاه هذا الوضع، حلّ الغموض في عقله وتطلّع إلى حرمون بقساوة وقال له مهدّداً: (31) "لو كان أهلك أو أولادك هنا، لقدّمثهم وليمة كبيرة لهؤلاء الحيوانات، بدلاً من اليهود الأبرياء الذين أظهروا ولاء مطلقاً لأبائي لم يظهره غيرهم. (32) فلولا العاطفة التي تصدر عن صداقة اعتدتُ عليها، ولولا خدمتك لي، لأخذت حياتك بدل حياتهم". (33) وإذ أحسّ حرمون بتهديد خطير لم يتوقّعه، اضطرب وجهه وتبدّلت ملامحه. (34) وتسلّل أصدقاء الملك، الواحد بعد الآخر، وأمرت الجموع المتوافدة بالذهاب إلى عملها. (35) وإذ سمع اليهود ما حصل مع الملك، امتدحوا الله المجيد وملك الملوك، بعد أن نالوا منه أيضاً عوناً جديداً.

(36) وهياً الملك وليمة أخرى، كما الوليمة السابقة، وأمر أصدقاءه أن يتحوّلوا إلى الفرح. (37) ودعا حرمون وقال له مهدّداً: "أيها التعيس، كم مرّة أعطيك أوامر في ذات المسألة؟ (38) هيئ فيك من أجل الغد لاستئصال اليهود". (39) فاندشش وزيره، الذي كان معه إلى المائدة، من هذا التقلب، وقال له معاتباً: " (40) إلى متى تتّهمنا، أيها الملك، بأننا مجانين؟ هي المرة الثالثة تأمر فيها بإفناء اليهود. وحين يبدأ التنفيذ تبدّل رأيك وتراجع عن قرارك. (41) لهذا، تحوّل الانتظار إلى جلبة في المدينة. فقد تجمهر الناس وهم يترقبون، وقد استعدّوا للسلب والنهب". (42) فجئن جنون الملك، الذي هو فلاريس من جميع الوجوه، ولم يعد قلبه يتذكّر أنه قرّر المحافظة على اليهود، فحلف حلفاً باطلاً أنه سيرسل اليهود إلى الجحيم بعد أن تدوسهم ركب الفيل وأرجلهم.

(43) وأنه سيقوم بحملة على اليهودية، فيسويّ مدنها بالنار والسيّف، ويدمّر الهيكل الذي لا يُسمح للوثنيين بدخوله، ويمنع عنه الذبائح إلى الأبد، بعد أن كانت تقدّم فيه. (44) فتركه أصدقاؤه ووزيره بفرح، وكلّهم ثقة بأن هذا الافناء سيتمّ. فرتبوا صفوفهم من أجل حماية المدينة، في أفضل نقطة ملائمة.

(45) فدفع مدرّب الفيلة حيواناته إلى حالة من الجنون، فأتخمها بالخمير واللبن وجهّزها بأسلحة

مريعة. (46) وفي الصباح الباكر، ساعة امتلأت المدينة بجمهور كبير من الشعب ذاهبين إلى الحلبة، دخل إلى القصر ودعا الملك إلى أن يتخذ قراره. (47) فامتلاً قلب الملك غيظاً و غضباً، فهجم مع الحيوانات وقد عزم أن يرى بعينين لا تعرفان الشفقة ألم اليهود وإفناءهم إفناء يرثى له. (48) وحين رأى اليهود الفيلة خارجة إلى الباب، تتبعها القوات المسلحة. وحين رأوا الغبار تحركه أرجل الجماهير، وسمعوا صراخ الشعب وضجيجهم، (49) ظنوا أنهم دنوا من آخر ساعة في حياتهم، وأن وقت جهادهم الذي انتظروه قد جاء. فبدأوا يبكون ويولولون. وقبل الواحد الآخر، وعانق القريب قريبه. عانق الآباء أبناءهم، والأمهات بناتهن. والأطفال على الثدي رضعوا آخر نقطة من حليبهم. (50) ومع ذلك، تذكروا المناسبات السابقة التي فيها جاءهم العون من السماء، فارتموا كلهم دفعة واحدة إلى الأرض. أبعدوا الأولاد عن صدورهم، (51) وصرخوا بصوت عظيم جداً إلى سيد كل قدرة، لكي يظهر لهم رحمته في هذه الساعة التي يقفون فيها على أبواب الموت.

صلاة اليعازر

6 (1) أما اليعازر الذي تميّز بين الكهنة في منطقتهم، وطعن في السن، وتميّزت حياته بالفضائل، فدعا الشيوخ الذين كانوا حوله بأن يتوقفوا عن الصراخ بهذا الشكل، فيصلوا هكذا:

(2) "أيها الملك العظيم في القدرة، والعلي، والإله الضابط الكل. أنت تسوس الخليقة كلها بالرحمة.

(3) أنظر إلى زرع ابراهيم(98)، إلى أولاد يعقوب الذين قدستهم، إلى شعب ميراثك المقدس الذي يهلك جوراً كغريب في أرض غريبة. (4) دمّرت فرعون الملك السابق في مصر، مع مركباته الكثيرة، حين ترفع وتجبر بوقاحة، وتكلم بعجرفة تاركاً كل شريعة. دمّرت في أعماق البحر مع جيشه المتكبر، وأرسلت، أيها الأب، نور رحمتك على شعبك إسرائيل. (5) وسنحاريب، ملك الأشوريين الظالم، افتخر بجيشه الذي لا عدّ له، فساد على الأرض كلها بحرابه، وتشامخ على المدينة المقدسة، وقال كلاماً خطيراً فيه العجرفة والوقاحة. وأنت، أيها الرب، دمّرت قدرته على عيون الأمم العديدة. (6) والفتية الثلاثة في بابل عرّضوا حياتهم للنار على أن يعبدوا الأصنام. نجّيتهم فلم تتأذى شعرة في رؤوسهم، وجعلت النار المتقددة مثل الندى لهم، وأرسلتها تحرق أعداءهم. وحسد دانيال واتهم افتراء، فرمي للأسود طعاماً في الجب، تحت الأرض. (7) فأعدته إلى النور سالمًا. (8) وتآوه يونان في بطن الحوت، في الأعماق، فنظرت إليه أيها الأب وأعدته ليرى كل بيته.

(9) والآن، أنت الذي يُبغض الوقاحة. يا مليوناً بالرحمة والمحامي عن الجميع، تجلّ عاجلاً للذين من شعب إسرائيل يُعيرون من قبل وثنيين مبغوضين ولا شريعة لهم. (10) إن كانت حياتنا تتعرض

للعقاب بسبب أعمال شريرة خلال مبتغانا، فأنقذنا من يد أعدائنا، أيها الرب، ودمّرهم بالميتة التي اختاروها لنا. (11) لا تسمح للذين يفكرون بالباطل، أن يباركوا آلهتهم الكاذبة، حين يدمر شعبك، فيقولون: "لم يستطع إلههم ذاته أن يخلصهم". (12) فأنت كلي القدرة وكلي القوة، أنت الأزلي. أنظر الآن إلينا، وارحمنا نحن الذاهبين إلى الموت كخونة من قبل الوقاحة والعجرفة في أناس لا شريعة لهم. (13) إجعل الوثنيين اليوم يخافون قدرتك التي لا تقهر. فأنت العليّ المجيد، وأنت القادر دوماً على خلاص شعب يعقوب. (14) فجمهورُ الأطفال والوالدين يتوسّلون إليك بدموع. (15) لتفهم جميع الأمم أنك معنا، وأنت ما ملت بوجهك عنا. قلت إنك لا تنسانا حتى في أرض الأعداء. فتمم كلامك يا ربّ.

وتبدلت الأمور

(16) وما أن أنهى اليعازر صلاته، حتى وصل الملك إلى الحلبة، مع الوحوش وهتافات الجيش الصاخبة. (17) لاحظ اليهود ذلك، فرفعوا أصواتهم إلى السماء، فتردد الصدى في الوادي القريب، فحلّ بالجيش كله رعدة لا تقاوم عبّروا عنها بالنواح. (18) فالعظيم والمجيد والإله الحقيقي كشف عن وجهه القدوس، وفتح أبواب السماء من حيث نزل ملاكان يرتديان المجد والشكل المهيّب. فرأهما الجميع ما عدا اليهود. (19) وقفا قبالة جيش الأعداء، وملاهم ضياعاً وخوفاً، وربطاهم بقيود لا تتحرك. (20) وحلت رعدة في جسد الملك، فصارت عجرته ووقاحته كلا شيء. (21) واستدارت الحيوانات على الجنود الذين يتبعونها فسحقتهم ودمرتهم. (22) عندئذ تحول غضب الملك إلى رافة، فبكى لمشروع هيّاه. (23) فلما سمع الصراخ، ورأهم كلهم مرميين على الأرض وموتى، بكى وهدّد أصدقاءه قائلاً: (24) "يا لسياستكم الخرقاء التي تدفع الطغاة إلى القساوة. فأنا المحسن إليكم حاولتم أن تشوّهوا حكمي وحياتي فنصحتموني سرّاً بإجراءات تسيء إلى المملكة. (25) من الذي جلب من بيوتهم أولئك الذين أمسكوا القلاع في أرضنا بأمانة، وجمعهم بجهالة واحداً واحداً هنا؟ (26) من الذي فرض جوراً، عقوبات لم يستحقها أولئك الذين دلّوا على ولائهم لنا منذ البداية، وخضعوا مراراً لأبشع الأخطار فتفوقوا على كل الأمم؟ (27) حلّوا، أجل حلّوا قيودهم الجائرة، وأعيدوهم إلى بيوتهم بسلام، واطلبوا المغفرة ممّا فعلتموه لهم. (28) حرّروا أبناء الضابط الكلّ، الإله الحيّ في السماء، الذي منحنا الازدهارَ المجيد والدائم في أعمالنا، منذ أيام آبائنا حتى اليوم". (29) هكذا تكلم الملك. وحرّر اليهود بعد أن نجوا من موت قريب، فباركوا مخلصهم، الإله القدوس.

الاحتفال بالعيد

(30) ومضى الملك إلى مدينته، ودعا وكيل المال لديه، وأمره بأن يُعطي اليهود كمية النبيذ الذي يحتاجون إليه ليعيدوا سبعة أيام. وقرّر لهم أن يعيدوا بكل فرح في الموضع الذي عرف خلاصهم، وحيث انتظروا دمارهم. (31) عندئذ، فالذين أدلوا واقتربوا من القبر، شربوا كأس خلاصهم بدل المصير المرّ والتعيس. وبعد أن امتلأوا فرحًا، احتفلوا بالعيد في كل مكان قاربوا الدمار والقبر. (32). تركوا أصوات النوح والبكاء، وأخذوا أناشيد آبائهم، فامتدحوا الإله المخلص وصانع المعجزات. تخلّوا عن نواحهم وبكائهم، وكونوا حلقات الرقص ليدلّوا على الفرحة والسلام اللذين نالوهما. (33) والملك أيضًا أقام وليمة عظيمة لكي يحتفل بما حصل، وعاد لا ينقطع عن الشكر الاحتفاليّ الدائم للسماء، بسبب خلاص لا متوقع أعطي لهم. (34) والذين سبق وتخلّوا أن اليهود حُكم عليهم بالدمار بحيث يصيرون فريسة للطيور، وقاموا بالإحصاء بفرح، ولولوا الآن وارتدوا الخجل، وانطفأت نار غضبهم فانتقلوا من الوقاحة إلى العار. (35) أما اليهود، كما قلنا، فشكّلوا حلقات الرقص، وقضوا وقتهم في العيد. وأنشدوا مزامير الفرحة ليشكروا الرب. (36) واتّخذوا قرارًا علنيًا بأن يحتفلوا هكذا حتّى الأجيال الآتية، ما داموا غرباء. وهكذا جعلوا هذه الأيام أيام فرح، لا من أجل الشرب والأكل بشرهة، بل من أجل خلاص حصلوا عليه بيد الله. (37) وأخيرًا، طلبوا من الملك أن يتركهم يمضون إلى بيوتهم. (38) كان الإحصاء قد بدأ منذ اليوم الخامس والعشرين في باخون وامتد إلى الرابع من ابيفي، أي أربعين يومًا؟ فالإجراءات التي اتّخذت لأجل تدميرهم، امتدّت من الخامس من ابيفي إلى السابع منه، أي على ثلاثة أيام. (39) في تلك الأيام، كشف سيّد الكل رحمته بمجد عظيم، وخلصهم كلّهم، فلم يُصب واحد بأذى. (40) وعيدوا على حساب الملك أربعين يومًا، ثم طلبوا أن يُرسلوا إلى بيوتهم. (41) فوافق الملك، وكتب رسائل بعثها معهم، إلى القوادم في كل مدينة، يخبرهم بسخانه تجاههم.

رسالة الملك

7 (1) "من الملك بطليموس فليوباتور إلى القوادم في مصر وجميع المهتمّين بأمرنا. سلام وعافية. (2) من جهتنا، نحن في صحّة تامّة وأولادنا أيضًا. فالإله العظيم وجّه أحوالنا بحسب رغبتنا. (3) ولكن بعض أصدقائنا حرّكهم الشرّ، فألحوا علينا مرارًا وأقنعونا بأن نجتمع اليهود في المملكة كتلة واحدة، ونسومهم عذابات خارقة لأنهم خونة. (4) وأشاروا إلينا أن أحوالنا لن تكون ثابتة حتى يتمّ هذا العقاب، بسبب الشرّ الذي يُضمره اليهود لجميع الأمم. (5) وهكذا جاؤوا بهم كعبيد أو متأمّرين، بعد أن أساءوا معاملتهم، وحاولوا قتلهم بدون محاكمة عادلة أو بحث واستقصاء. حجروا عليهم بقساوة ووحشية لم تصل إليها عادات الاسكوتيين. (6) ولكن بسبب

الرحمة التي بها عاملنا جميع البشر، وبخناهم لسلوكهم وهددناهم. وسمحنا لليهود بأن يعيشوا. وإذ عرفنا الحماية التي يحميها الله في السماء لليهود، بسبب عهده معهم، كعهد الأب مع أولاده، (7) وأخذنا بعين الاعتبار ولاءهم الدائم لنا ولآبائنا، برآناهم بعدل من كل اتّهام ضدهم. (8) وأمرنا بأن يعود كل واحد إلى بيته، بحيث لا تؤذيهم البتّة، في أي مكان، ولا نشير إلى القصاص الجائر الذي فرضناه عليهم. (9) وتأكدوا (=أنتم) أننا إن نوينا الشرّ عليهم أو بيّنا لهم سوءاً، لا يكون خصمنا إنساناً من الناس، بل الإله العليّ وسيّد كل قدرة، وهو ينتقم من مثل هذه الأعمال، بحيث لا ننجو من يده في كل الظروف وفي كل الأوقات. كونوا سالمين".

(10) حين تلقى اليهود هذه الرسالة، لم يعودوا يعجلون في الذهاب، بل طلبوا أيضاً من الملك أن ينال عقاباً من أيديهم، أولئك اليهود الذين تعدّوا بإرادتهم على الإله القدّوس وتجاوزوا شريعته. (11) وشدّدوا على أن الذين رفضوا وصايا الله من أجل بطنهم، لن يكونوا أمناء لأمر الملك. (12) فأقرّ الملك بحقيقة ما قالوا، وامتدحهم، ومنحهم ملء السلطان لكي يدمروا جميع الذين تجاوزوا شريعة الله، في أي موضع في مملكته، بدون إذن ولا ارتباك، بدون بحث ولا استقصاء. عودة اليهود إلى بيوتهم

(13) فصقّ له كهنتهم تصفيقاً، ومضت الجموع كلها بفرح وهي تهتف هللويا. (14) وكل يهودي التقوه في طريقهم، قد تنجّس، عاقبوه بالموت ليكون عبرة لمن اعتبر. (15) فقتلوا في ذلك اليوم أكثر من 300 رجل، واعتبروا تدمير هؤلاء الأنجاس عيداً من أعياد الفرح. (16) أما الذين ظلّوا متعلّقين بالله حتّى الموت، فقد نعموا بملء الخلاص. وانطلقوا من المدينة تكلّمهم كل أنواع الزهور. شكروا إله آبائهم ومخلص إسرائيل الأبديّ بهتافات الفرح وأناشيد المديح. (17) وحين وصلوا إلى بظلمائيس المسماة "حاملة الورد"، حيث انتظرتهم السفن سبعة أيام، حسب رغبتهم جميعاً، (18) كانت هناك وليمة تحتفل بنجاتهم. ثم إن الملك منح كل واحد منهم كل ما يحتاج إليه حتى يصل إلى بيته. (19) وحين أتمّوا سفرهم بسلام مع الشكر اللائق، قرّروا هناك، كما في السابق أن يجعلوا هذه الأيام، أيام عيد. (20) سجّلوها كأيام مقدّسة على العمود، وكرّسوا موضع العيد ليكون موضع الصلاة. انطلقوا بدون أذى، أحراراً، وهم ممتلئون فرحاً. فاقتيدوا بأمان، بأمر الملك، أرضاً وبحراً ونهراً، كل واحد إلى بيته. (21) وتمتّعوا بسلطة أكبر من قبل، لدى أعدائهم، واعتبروا اعتباراً كبيراً، وحلّت مخافتهم بحيث لم يجرؤ أحد أن يسلبهم أموالهم. (22) استعادوا كل ممتلكاتهم، حسب السجلات، والذين كان لهم خير استعادوه بخوف عظيم. فالإله العظيم أتمّ عظامم من أجل خلاصهم. (23) مبارك مخلص إسرائيل من الأبد إلى الأبد. آمين.

والمجد لله دائما

المراجع

مدخل إلى سفري المكابيين - الأتبا مكاريوس الأسقف العام

مدخل إلى المكابيين الثالث للاب بولس فغالي

دائرة المعارف الكتابية

الموسوعة اليهودية

دائرة المعارف اليهودية

قاموس انكور بايبل

موقع المكتبة اليهودية الالكترونية

موقع الاستاذ كرييت انسر

موقع كتابات اليهود القديمة

موقه الويكيبيديا

الموسوعة البريطانية